لِئَلاّ تَضِيعَ الطفُولَةُ

ثلاثونَ سبباً تمنعك من الطلاق

تأليف

د. عبد المجيد البيانوني

ϖ

الطبعة الأولى 1427 هـ

%} % %

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِئَلاّ تَضِيعَ الطفُولَةُ

ثلاثونَ سبباً تمنعك من الطلاق

تَصدِير

يقول الله تعالى :

(ۆ ۇ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ) النساء

.

?

∃ ⊥ ∃

فاتحة القول !

أخي المؤمن ! ينبغي أن تحكمك تقوى الله تعالى في كلّ شأن من شؤون حياتك ، وبخاصّة في أمر الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله .. وإنّك لموعودٌ من الله تعالى أن يجعل لك فرجاً ومخرجاً من كلّ ضيقٍ وهمّ ، يقول الله تَعالى : (.. گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ) (.. ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئا ئا ى ى ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) الطلاق .

لقد تكرّر في سورة الطلاق وعد الله للمؤمنين والمؤمنات بالعَون ، وتيسير المخرج ، والرزق من حيث لا يحتسب .. لمن يتّق الله .. ومن أسرار هذا التكرار والله تعالى أعلم : أنّه في حَالة الطلاق كثيراً ما يقع الظلم على أحد الطرفين ، فيكون أحد الطرفين

ظالماً ، والآخر مظلوماً ، وتخفى حقائق ، وتبرز نقائص ، ربّما كانت سيّئاتٍ صغيرةً أمامَ تلك الحقائق الكبيرة .. ويكون أحد الطرفين ومن معه ، ومن وراءه ألحنَ بحجّته من الآخر ، فيتجاوز حدّه ، ويظلم الطرف الآخر ، فتأتي هذه الآية الكريمة لتصل القلوب باللهِ السميع العليم ، وتحثّ على تقواه سبحانه ، فهي خير ما يدفَع الظلم ، ويحسّن العواقب ، ويقف الإنسانَ عند حدّه ، ويبدّل الأحوال .. وكم رأينا ، وكم رأى الناس ـ والحمد لله ـ ما يصدّق هذه السنّة الإلهيّة في حياة الناس الاجتماعيّة وعلاقاتهم ، وتقلّبِ أحوالهم .. وإنْ كان أكثر ما يقع الظلم على المرأة وللأسف .!

ملاحظـةٌ مهمّـة : هـذه الرسـالة وإن كانـت فـي الأصل موجّهة إلى الزوج الذي بيده الطلاق ، ويملكه ، ولكنّها موجّهة أيضاً إلى المرأة وأولياء أمْرها ، إذ

كثيـراً مـا يكـون طلـب الطـلاق مـنهم ، فعلـيهم أن لا يطلبوا الطلاق بغير حقّ ، وأن ينظروا بجدّ إلـى هذه الأسـباب التـي تمـنعُهم منـه ، فـإن رأوهـا لا تطـالهم بمعانيهـا وحقائقهـا فـلا جنـاح علـيهم أن يلجـأوا إلـى الطـلاق مضـطرّين ، إذ إنّ " آخِـرَ الـدواء الكـيّ " .! ولكن ينبغـي أن يكـونَ القرارُ الجـازم قرارَهـا بمحـض إرادتها لا قرارهم ، لأنّـه قرار مصيريّ فـي حياتهـا ، ولا ينبغـي لأحـدٍ أن يتّخـذَه بالنيَابـةِ عنهـا ، أو يفـرضَ عليها ما لا تَراه وتَعتقدُهُ .

?

$\exists \perp \exists$

μ

الحمد لله ربّ العالمين ، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا محمّد ، سيّد الأوّلين والآخرين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد ؛

فهناك ظاهرة اجتماعيّة مقلقة ، تشمل العالم الإسلاميّ بنسب عالية متقاربة ، هي ظاهرة ارتفاع نسبة الطلاق بصورة تصل إلى 37% في بعض البلاد .. فمن المسؤول عنها .؟! أهو الرجل الزوج .؟ أم المرأة الزوجة .؟! أم أهل الزوج .؟ أم أهل الزوجة .؟ أم المجتمع بعاداته وأعرافه ، ومواضعاته وتقاليده ، التي كثير منها تخرج عن هدي الإسلام ، وما أنزل

الله به من سلطان .؟ وهل هذه الظاهرة بهذه الصورة يمكن أن تعدّ ظاهرة طبيعيّة ، كما يقول بعض الناس ، يمارس فيها الرجل حقّه ، أو تطالب فيها المرأة بحقّها ، أو يدافع فيها أهل الزوجة عن حقوق ابنتهم ، وينتصرون لها .؟ ولو كان من وراء ذلك وقوع أبغض الحلال إلى الله تعالى ..

فأين يكمن الخلل في هذا الوضع ، الذي يمثّل شرخاً خطراً ، لا يزال يتعمّق في بنية المجتمع ويمتدّ ، ليكون من ورائه مزيد من تفاقم هذه الظاهرة وتجذّرها ، وما يتولّد عنها من نتائج وآثار ..

إنّ تفاقم هذه الظاهرة بهذه النسب المرتفعة وامتدادها ، يعدّ مؤشّراً واضحاً على وجود خلل تربويّ ، ينبغي أن يدفع العلماء والمربّين إلى سبر أغواره ، وتحليل أسبابه ، ومعرفة مقدّماته ،

للوصول إلى وضع خطط لمعالجته قريبة ، وأخرى متوسّطة ، وثالثة بعيدة ، لتخفيف هذا الخلل قدر المستطاع ، ومعالجة آثاره ، ثمّ إذا ما وقع بنسبةٍ قليلة متدنّيةٍ لم يكن ظاهرة سلبيّة مقلقة ..

وأحسب أنّ على رأس أولويّات المعالجة يأتي نشر العلم والتوعية ، وإحكام خطوات العمل والتربية ، وإعطاء الأهمّيّة الكبرى لقِيَم الإسلام الخلقيّة والسلوكيّة ، غرساً وتعليماً ، وتعهّداً ورعاية .. حتّى تؤتي ثمراتها ، وينعم الناس ببركاتها .. مع تعاون كلّ جهةٍ مسؤولة في المجتمع بتقديم ما تستطيع في هذا السبيل .

نظرةٌ عامّةٌ على الآيةِ ومُقارنة :

يقول الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية : " أي طيّبوا أقوالكم لهنّ ، وحسّنوا أفعالكم

وهيئاتكم ، بحسب قدرتكم ، كما تحبّ ذلك منها ، فافعل أنت بها مثله ، كما قال تعالى : (.. ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ ﮋ ﮊ .. ﮉ) البقرة ، وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ε : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي ..) [1] ، وكان من أخلاقه ε أنّه جميل العِشرةِ ، دائم البشر ، يداعبُ أهلَه ، ويتلطّف بهم ، ويوْسعهم نفقته ، ويضاحك نساءَه ، حتّى إنّه كان يسابق عائشةَ أمّ المؤمنينَ ، رضي الله عنها ، يتودّد إليها بِذلك ، قالت : " سابَقني رسول الله ε فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم ، ثمّ سابقته بعدما حملت اللحم فسبقني ، فقال : (**هذه بتلك**) ، وكان يجمع نساءه كلّ ليلة في بيت التي يَبِيت عندها ، فيأكل معهنّ العَشاء في بعض

---

(1) ـ رَوَاهُ الترمذِيّ في كتاب المناقب عَنْ رسول الله ε برقم/3830/ وقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ ، وابن ماجه في النكاح برقم /1967/ .

الأحيان ، ثمّ تنصرف كلّ واحدة إلى منزلها ، وكانَ ε ينام مع المرأة من نسائه في شِعارٍ واحدٍ ، يضع عن كتفيه الرداء ، وينام بالإزار ، وكان ε إذا صلّى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام ، يؤانسهم ε بذلك ، وقد قَال الله تعالى : (ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی □) الأحزاب [1] .

والمعاشرة " مفاعلة " من العِشرة ، وهي المخالطة حتّى تكون الزوجة أشبه بالعشيرة وهم الأهل ، أي اجعلوهنّ من عشيرتكم ، كما يقَال : آخاه إذا جعله أخاً له . فكأنّ القرآن الكَريم يقول للرجل : لقَد انضمّت الزوجة إلى عشيرتكَ ، وأصبَحت جزءاً من قرابتك وأهلك ، فكيفَ تفكّر بعدَ ذلكَ في فصلها عنك ومفارقتِها .؟!

---

(1) - تفسير ابن كثير 411/1/ .

ثمّ إنّ الآية الكريمة تشير إلى أنّ الزوجةَ بطبيعتها منفعلةٌ وليسَت فاعلة ، ومتأثّرة ، وليست مؤثّرة ، فهِي العنصر الضعيف في معادلة الزواج ، فكان حقّاً لَها على الزوجِ حسن الرعاية ، وسموّ العشرةِ والعلاقة .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى حكمةٍ عظيمة : " إذ قد تكره النفوس ما في عاقبته خير ، فبعضُه يمكن التوصّل إلى ما فيه من الخير عند غوص الرأي ، وبعضه قد علم الله أنّ فيه خيراً ، لكنّه لم يظهر للناس .. والمقصودُ من هذا : الإرشاد إلى إعمالِ النظر ، وتغلغل الرأي في عواقب الأشياء ، وعدم الاغترار بالبَوارِق الظاهرة ، ولا بميل الشهوات إلى ما في الأفعال من ملائم ، حتّى يسبرَه بمسبار الرأي ،

فيتحقّق سلامة حسن الظاهر من سوء خَفايا الباطنِ " (1) .

إنّ هذه الآية الكريمة " تُعلّق النفسَ بالله ، وتهدّئ من فَورة الغضب والكره ، حتّى يراجعَ الإنسان نفسه في هدوء ، وحتّى لا تكون العلاقة الزوجيّة ريشةً في مهبّ الريح ، فهي مربوطة العُرَى بالعُروة الوثقى ، العروة الدائمة ، العروة التي تربط بين قلب المؤمن وربّه ، وهي أوثق العرى وأبقَاها ..

والإسلام الذي ينظر إلى البيت بوصفه سكناً وأمناً وسلاماً ، وينظرُ إلى العلاقة بين الزوجين بوصفها مودّةً ورحمةً وأُنساً ، ويقيم هذه الآصرةَ على التجاوب والتعاطف والتحابّ ، هو الذي يقول

---

(1) - ينظر تفسير : " التحرير والتنوير " للشيخ ابن عاشور 287/3/ .

للأزواج : (.. ۇ ۆ ۈ ۋ ۅ ۉ ۊ ۋ ی ۍ ێ ۏ ې ۑ ے ۓ) النساء ، كي يستأنيَ الرجلُ بعقدة الزوجيّة ، فلا تفصمَ لأوّلِ خاطرٍ ، وكي يستمسكَ بها فلا تنفكَّ لأوّل نزوة ، وكي يحفظَ لهذه المؤسّسة الإنسانيّة الكبرى جدّيّتها ، فلا يجعلها عرضةً لنزوة العاطفة المتقلّبة ، وحماقة المَيْل الطائر هنا وهناك .. إنّ العقيدة الإيمانيّة هي وحدَها التي ترفع النفوس ، وترفع الاهتمامات ، وترفع الحياة الإنسانيّة عن نزوة البهيمة ، وطمع التاجر ، وتفاهة الفارغ [1] .

مقارنة دقيقة بين الآيتين : آية الطلاق ، وآية الجهاد ، وهي قول الله تعالى : (ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ) البقرة .

---

(1) - في ظلال القرآن بتصرّف واختصار 606/1/ .

نلاحظ في آية القتال أنّ الله تعالى ذكر حالتين :
حالة كراهة الإنسان لشيء وهو خير له ، وحالة حبّ الإنسان لشيء وهو شرّ له ، بينما في آية الطلاق لم يذكر سوى حالةٍ واحدة ، وهي أن يكره الإنسان شيئاً ، ويجعلَ اللهُ فيهِ خَيراً كثيراً .. فلِمَ لم تُذكَر الحالة الثانية ، وهي أن يحبّ الإنسان شيئاً ، ويجعلَ اللهُ فيهِ شرّاً كثيراً ..؟!

والحكمة في ذلك والله تعالى أعلم : أنّ الكراهة في آية القتال هي طبعيّة جِبلّيّة ، بينما هي في آية الطلاق سببيّة عارضة ، وقانون ما كان طبعيّاً جِبلّيّاً هو المساواة في الحكم بين طرفي المعادلة ، بذكر الحالتين وما يترتّب على كلّ واحدة منهما ، وأمّا ما كان له سبب عارض فينبغي أن تكون له معالجة خاصّة ، وليس من الحكمة أن يُجعل للسبب العارض

قانوناً ، تذكر فيه المعادلة بين طرفين .. لأنّه ربّما كانَ سبباً نفسيّاً ، تدخل فيه الأهواء وشهوات النفوس .. وحقّه عندئذ أن تلجم النفوس عن أهوائها ، وتُحال إلى حكمة ربّها ، ولا يترك لها المجال لتصول مع رعوناتها .. فالكاره لزوجته هنا لسبب عارض ليسَ بحاجةٍ أن يذكر له الطرف الآخر من المعادلة ، لأنّ هواه فيه ، وهو حريص على أن يجد من يؤيّده لاتّخَاذ قرار الطلاق الذي يُسِرّه في نفسه ..

وهذه الآية التي بين أيدينا تقوم على الموازنة بينَ المصالح والمفاسد ، والنظر إلى العواقبِ والمآلاتِ ، وهو من الفقه الدقيق لكتاب الله تعالى ، الذي يقصر عنه كثير من المتّصفين بالتديّن ، والحرص على التمسّك بالسنّةِ النبويّة ، وهذا ما

يدفعنا إلى بيان أوجه الخير الكثير الذي تحدّثت عَنه الآية الكريمة .

ثمّ إنّ هذه الأوجه التي تحجز المؤمن عن التسرّع في اتّخاذ قرار الطلاق ، هي نَوع من بيان السرّ في اعتبار النبيّ ε الطلاقَ أبغض الحلال إلى الله تعالى ، كما جاء في الحديث : (**أَبْغَضُ الحَلالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الطَّلاقُ**) [1] .

---

(1) - رواه أبو داود في كتاب النكاح برقم /1863/ ، وابن ماجه في كتاب النكاح برقم /2008/ وعزاه في الجامع الصغير إلى الحاكم والطبرانيّ والبيهقيّ ، وقال المناوي في شرحه 79/1/ : الطَّلاقُ أَبْغَضُ الحَلالِ إِلَى اللهِ : من حيث إنّه يؤدّي إلى قطع الوصلة ، وحلّ قيد العصمة ، المؤدّي إلى قلّة التناسل الذي به تكثر الأمّة ، لا من حيث حقيقته في نفسه فإنّه ليس بحرام ولا مكروه أصالة ، وإنّما يحرم أو يكره لعارض ، وقد صحّ أنّ النبيّ ε آلى وطلّق ، وهو ε لا يفعل مكروهاً . وقال الطيبيّ : فيه أن بغض بعض الحلال مشروع ، وهو عند الله مبغوض ، كصلاة الفرد في البيت بلا عذر ، والصلاة في مغصوب ، وقال العراقيّ : فيه أنّ بغض الله للشيء لا يدلّ

ولم أجد من المفسّرين ـ فيما اطّلعت ـ من حَاول أن يستجمع أوجهَ الخير الكثير ، الذي نصّت عليه هذه الآيةُ الكريمة ، وإنّما هي إشاراتٌ عابرة ، وكلمات موجزَة محدودة ، مع ما في التفصيل والبيان من أثر تربويّ عميق في نفس كلّ مؤمنٍ ومؤمنة ، يحجزهم عَن أن **يكون الطلاق ألعُوبةً ، أو أن تُتّخذَ آيات الله هزواً** ..

فمن أوجه الخير الكثير الذي تحدّثت عَنْه الآية الكريمة :

1 ـ **تَحقّقُ المؤمنِ بالامتِثَال للآية الكريمة** ، فهي تُنفّرُ من الطلاق ، بأسلوب بيانيّ مُوجَز مُعجِز ،

على تحريمه ، لكونه وصفه بالحلّ على إثبات بغضه له ، فدلّ على جواز اجتماع الأمرين : بغضه تعالى للشيء ، وكونه حلالاً ، وأنّه لا تنافي بينهما ، وأحبّ الأشياء إلى الشيطان التفريق بين الزوجين ، كما جاء في الخبر .

وتحثّ المؤمن على ألاّ يكونَ الطلاق إلاّ في نهاية المطاف ، وقراراً نهائيّاً غير متهوّرٍ ولا متعجِّل ، تكون دونَه وقبلَه خطوات كثيرة ، ثمّ يكون لا مفرّ منه ، وقد بيّن الله تعالى تلك الخطوات في مواطن أخرى من كتابه العزيز منها قوله تعالى : (.. ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) النساء ، ولا مجال هنا لبيان الخطوات التي نصّت عليها هذه الآية ، وهي ظاهرة معلومة .

ولاشكّ أنّ الامتِثَالَ للأمر الإلهي بركاته على الإنسان لا تعدّ ولا تحصى ..

2 - **ومنها اليقينُ بوَعد الله تعالى** ، إذ وَعَدَ المؤمنَ بالخير الكثير إن صبر على زوجته ، وآثر

المصالح العليا في استبقاء عرا الزوجيّة على قطعِها وانفصامها .

3 ـ **ومنها التأسِّي بالنبيِّ** ε ، وهو القائل كما في الحديث عَن عَائِشَةَ ـ رضي اللهُ عَنها ـ قَالَت : قَالَ رَسُولُ اللهِ ε : (**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي** ..) [1] . والقائل ε : (**خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**) [2] .

والقائل ε أيضاً : (**لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ ، أَوْ قَالَ غَيْرَهُ**) [3] .

---

(1) ـ رواه الترمذي في المناقب /3830/ وقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ .. ، ورواه ابن ماجه أيضاً .

(2) ـ روَاه ابن ماجه في كتَاب النكاح برقم /1968/ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو τ .

(3) ـ روَاه مسلم في كتَاب الرضاع برقم /2672/ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ .

وقال الإمام مالك τ : " **يجب على الرجل أن يتحبّب إلى أهل داره ، حتّى يكون أحبّ الناس إليهم** " .

4 ـ **ومنها التأسِّي بالصالحين** ، الذين كانوا على قدم النبوّة وهديها في معاملة أزواجهم ، والصبر عليهنّ ، والرفق بهنّ ، وحسن الرعَاية لهنّ ، معَ ما يصدر عَنهنّ من ضعف وقصور ، وجهل بحقّ الزوج وتفريط .

روي أنّه جاء رجل إلى عمر τ يشكو إليه خلق زوجته ، فوقف ببابه ينتظره ، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها ، وهو ساكت لا يردّ عليها ، فانصرف الرجل قائلاً : " إذا كان هذا حال أمير المؤمنين ! فكيف حالي .؟ " .

فخرج عمر τ فرآه مولّياً ، فناداه : ما حاجتك .؟

فقال : يا أمير المؤمنين ! جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها عليّ ، فسمعت زوجتك كذلك ، فقلت : " إذا كان هذا حال أمير المؤمنين ! فكيف حالي .؟ " .

فقال له عمر τ : تحمّلتها لحقوق لها عليّ " [1] .

فانظر إلى سعة أخلاق عمر τ ، وتواضعه وتسامحه في حقّه ، والتماس العذر للنساء ، وهو المعروف عنه الوقوف مع الحقّ ، والشدّة في دين الله تعالى .

5 - **ومنها الوفَاء بالحَقّ والميثاق الغليظ** ، الذي قامت عليه رابطة الزوجيّة ، فقد سمّى الله تعالى عقدَ الزواج ميثاقاً غليظاً ، فقال تعالى : (.. ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ) النساء ، وبيّن سبحانه أنّه أُخِذَ

(1) - انظر : " أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر " للشيخ علي الطنطاويّ وناجي الطنطاوي ص/298/ .

للزوجة على زوجِها ممّا يدلّ على أنّ رعاية حقّ الزوجة أوجب ، مع أنّ حقّ الزوج أجلّ وأعظم ، ويقول الله تعالى : (.. ئى ئد ى ى .. □) البقرة .

6 ـ **ومنها مراعاة حَقّ الأمومة وحفظه** : ولا يخفى أنّ حَقّ الأمومة في الإسلام أعظم الحقوق على الإنسان بعدَ حقّ الله تعالى ، وهو معرّض للخطر الشديد ، والتفريطِ الكبير عندما تهدّد الحياة الزوجيّة بانفصام عراها ، وتمزّق روابطها ، وهذا الحقّ يتناول جانبين : جانب حقّ زوجتِكَ في أمومة أطفالك ، وجَانب حقِّ أمّك عليك .

ـ فأمّا حقّ زوجتكَ في أمومة أطفالك ، فكن عوناً لأبنائك على برّ أمّهم بالاستبقاء على عرا الزوجيّة قائمة حيّة ، وانفصام عُرا الزوجيّة من

أعظم أسباب وهن الروابط بين الأبناء والأمّهات ، فلا تكن سبباً لذلك .

ـ وأمّا جَانب حقِّ أمّك عليك ، فمن حَقّ أمّك عليكَ ، ومقتضى حرصك على برّها وكسب رضاها : ألاّ تطلّق الزوجة التي خطبَتْها لك واختارتْها ..

7 ـ **ومنها مراعاة حَقّ الأولاد ، والحرص على حسن رعايتهم** : وما أكثر ما يكون الأولاد ضحيّة فراق الزوجين ، مهما حاول الآباء تدارك سلبيّات الفراق ، وتعويض الخلل الواقع .. فمن كان تعزّ عليه طفولة أبنائه ، ويرجو أن تبقى سويّة نقيّة ، ويحرص على مستقبلهم أن يكون بعيداً عن ردود الفعل السلبيّة ، فليحفظ هذا البنيانَ عَن التصدّع والانهيار .

ولا أحد يدري ما يكون من خير كثير من وراء هذا الولد ، الذي يستحقّ أن تُستبقى أمّه على عصمة

أبيه لأجله ، ولا تفارق .! وقد قال ابن عبّاس τ في هذه الآية : " **هو أن يعطف عليها ، فيرزق منها ولداً ، ويكون في ذلك الولد خيرٌ كثير** " [1] ، وهذا منه τ على وجه التمثيل فحسب ، وإلاّ فإنّ الآية وصفت الخير أنّه كثير بالتنكير ممّا يجعله أعمّ وأشمل .

وحيْثُ إنّ الولد هو أهمُّ ما يُبتغى من وراءِ الزواجِ فقد نصّ عليه ابن عبّاس τ ، وعدّه أبرز مظاهر الخير الكثير ، فلله درّك يا ابن عبّاس يا حبرَ الأمّة وترجمان القرآن ! في دقّة فهمك لهذه الآية ، وتسليطك الضوء على محورها ، وبُؤرة الضوء فيها ..

وإذ كَانت الطفولة هي أضعف عنصرٍ في بنيان الأسرة ، وكانت في مرحلة التشكّل والتكوين والنموّ

---

(1) - انظر : تفسير ابن كثير 411/1/ .

، فإنّها أكثر العناصر تعرّضاً للخطر والضرر .. فمن ثمّ فإنّ حقّها في الرعَاية والاهتمام كان أوجب حقّ وآكده .. بينما قال الله تعالى في حقّ الزوجين ، اللذَيْن لم يجدا سبيلاً إلاّ الفراق : (ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ) النساء .

وإذا كان هذا الموضوع يُعدّ بيتَ القصيد كما يقال في هذا البحث ، فلابدّ لنا منْ وقفةٍ ولو قصيرة ، عند **آثار الطلاق السلبيّة على الأطفال** .. وهو موضوع على غايةٍ من الخطورة ، على واقع الطفولة ومستقبلها ، وهي خطورة لا يقدّرها أكثر الناس ، ولا يبالون بها ، ومن ثمّ فهم لا يحسنون التعامل معها .. بل قد يقَدّمون للطفولة السمّ الناقع ، والموت المعنويّ الزؤام ..

في الجاهليّة الأولى كانت الطفولة ضحيّة التنازع ، ووسيلة الضغط بين أهل الأمّ وأهل الأب ، فعندما أراد المشركون أن يمنعوا السيّدة أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ من الهجرة مع زوجها أبي سلمة τ إلى المدينة المنوّرة .. خلعت يد الطفل ، وفُرّق بين الأمّ وطفلها أكثر من سنة .. [1] .

وفي جاهليّة الغرب المعاصرة ، تضيع الطفولة وتشَرّد بين خلافات الزوجين وتناحرهما ، اللذَيْن لا يعرف أحدهم شيئاً من المودّة أو الرحمة نحوَ صاحبه .. وإنّما تحكمهم الأنانيّة الشخصيّة ، والنزوات الشهوانيّة ، ولولا النظام الصارم [2] ، الذي يحكم

---

(1) ـ ينظر خبر ذلك بالتفصيل في كتاب : " حياة الصحابة " للشيخ محمّد يوسف الكاندهلويّ 358/1/ .

(2) ـ وما أكثر ما يلتفّ عليه أحد الطرفين ليكون الطفل ضحيّة ، لا يحسّ بها أحد .

مجتمعاتهم بغير هوادة لكانت مأساة الطفولة في أخطر صورها وأسوأها ..

يقول " لورانس إ شابيرو ، ف . د " في كتابه : " كيف تنشئ طفلاً يتمتّع بذكاء عاطفيّ " : نجد في الغرب أكثر الكتب وأنفعها للأطفال كتاب بعنوان : " كتَاب الأولاد والبنات عن الطلاق " ، ويوضّح الطبيب النفسيّ " ريتشارد أ جاردنَار " فيه أنّ الأطفالَ يجب أن يعتمدوا على أنفسهم للتعايش مع الطلاق بين والديهم ، أفضل من افتراض أنّ والديهم سيقومون دائماً بإنجاز ما فيه مصلحتهم ، وتفيد الأبحاث الحديثة أنّه من الواجب تبنّي هذه النصيحة " .

فانظر إلى أيّ شيء قادهم اليأس من تحقيق مصلحة الأطفال ؟!

وبعد دراسة حالة / 131 / طفلاً لمدّة ما يقرب من عشرين عاماً بعد طلاق والديهم ، وجدت " جوديث والرستين " أنّ الآباء يخدعون أنفسهم بالاعتقاد أنّ الطلاق يعدّ أزمةً وقتيّة ، يتمّ حلّها بعد عام أو عامين ، ويفيد بحث " جوديث " بأنّ هذا ليس هو الحال .. إنّ الطلاق له آثار لا تزول عن الأطفال الذين يشعرون بالأسى لمدّة طويلة ، حتّى بعدَ أن يكْبروا ، بل حتّى وإن لم تَكن هناك مشكلات خطيرة واجهوها عند الطلاق ، وتشير " جوديث " إلى هذا بوصفه " بالتأثير المثبّط " ، وطبقاً لهذه الدراسة تَعود العديد من هذه المشكلات التي تظلّ لدى الأطفال أساساً إلى تزامن ظهورها مع الطفل " المثْقل بالهموم " ..

وفي الكتاب نفسه : " نجد أنّ الوالدين ذهبا إلى المستشارة بمدرسة ابنَتهما ، لمعرفة رأيها في كيفيّة

إخطار ابنَتهم " تينا " البالغة من العمر ستّ سنوات عن طلاقهما ، وقامت المستشارة بإعطائهما العديد من الكتب ليقرآها ، وأفادتهما بالعَديد من الأشياء التي يمكن أن تقال ، وتلك التي يجب ألاّ تقال .. وأفادت المستشارة الوالدين بأنّ " تينا " ستكون على ما يرام إذا ما حاولا دائماً أن يعملا سويّاً لتحقيق ما فيه مصلحتها .. ولم يمرّ أكثر من أسبوعين على اللقاء الأوّل بين الوالدين ومستشارة المدرسة حتّى بدأت الأحداث تظهر بين الوالدين .. لقد شوهد الوالدان وهما يصيحان كلّ منهما في وجه الآخر ، وقام الأب بجذب ابنته ليخرجها من سيّارة أمّها ، وكثيراً ما تمّ استدعاء المعلّمة إلى المنزل كلّ مسَاء ليستأذناها بخصوص إمكانيّة عودة " تينا " إلى المدرَسة مرّة أخرى ، وتكرّرَت زيارة الوالدين إلى المدرسة ، وفي كلّ زيارة

كان يتمّ اللقاء بين الوالدين ومستشارة المدرسة ، حيث كان كلّ من الوالدَين يظهر العقلانيّة والاهتمام بابنته " تينا " ، وأخيراً اقترحت المستشارة أن يتمّ اللقاء بـ " تينا " نفسها في كلّ اجتماع ، وقد حدث ذلك بالفعل ، ورغم تردّد " تينا " في الحضور إلاّ أنّها تعوّدت الحضور دون أن تنبس ببنت شفة ، ولكنّها قالت للمستشارة : " إنّني لا أحبّ أنْ أفكّر في هذا الأمر " [1] .

ونلحظ من هذا الكلام أن موقف المزايدة بينَ الزوجين ، والتصنّع بالسلوك الحَضاريّ هو الذي كانَ يدفعهما إلى تمثيل هذا الموقف أمام مستشارة المدرسة ، ولكنّه لم يغنِ عنهما شيئاً أمام الحقيقة التي تنضح

---

(1) ـ من كتاب : " كيف تنشئ طفلاً يتمتّع بذكاء عاطفيّ ، دليل الآباء للذكاء العاطفيّ " تأليف : لورانس إ شابيرو ، ف . د . ص/120/ فما بعد ، نشر مكتبة جرير ـ السعوديّة .

بالأنانيّة وتقديس الذات ، فتكرّر موقف الجاهليّة الأولى نفسه ، وكانت الطفولة هي الضحيّةَ مرّةً أخرى ..

وفي جهالة المسلمين المعاصرة بدينهم .. جهالة التفريط بالالتزام ، لا جهالة المعرفة بالأحكام نسمعُ ونجدُ ـ وللأسف ـ العجبَ العجاب من صور شتّى من ظلم الطفولة ، والاستهتار بحقّها عند نشوب الخلافات الزوجيّة ، وبخاصّة عندما تؤدّي إلى فصم عرا الزوجيّة ، فلا يزال الشدّ والجذب بينَ الطرفين المتَنازعين المتناحرين ، حتّى تمزّق الطفولة ، وتُشَوّه فطرتها ، ويدمّر كيانها .. وكلا الطرفين ويا للعجب .! يدّعي أنّه أرحم بطفله من الآخر ..!

أليس من أعجب العجب أن تكون الأمّة التي أرشدها الله تعالى في مجَال النساء بصفةٍ خاصّة بقوله سبحانه : (.. ذ ث .. ق) النساء ، أبعدَ ما تكونُ

في خلافاتها ومشكلاتها الزوجيّة عن هذه الروحِ التي أمِرت بها .؟! وأن يرضى الأبُ لطفله أو طفلته ـ ومن المفروض أن يكون أرحمَ الناس به ـ أن يكون ضحيّةَ خلافِه مع زوجته المطلّقة رغبةً منه في مضارّتِهَا وإيذائها ، وتنغيص حياتها بعد فراقه لها .؟!

فمن الآباء من يحبس الطفل أو الطفلة عن أمّهم ، وهما في مرحلة الحضانة ، والحاجة الماسّة لرعاية الأمّ وعطفها وحنوّها .؟!

ومنهم من استصدر حكماً من القاضي ألاّ يرى ولده إلاّ عن طريق المحكمة ، وفي المحكمة ، لأنّه لا ثقة له بالتزام مطلّقته بإرسال ولده أسْبوعيّاً إلى بيته ، وأيّ قاضٍ حصيف يقضي بمثل ذلك ، ولا ينظر إلى جانب الطفل الذي يحتَاج إلى مراعاة

جانبه ، وتقدير مشاعره .! وهو يجرجر كلّ أسبوعٍ إلى المحكمة ، لا لشيء إلاّ نكاية بأمّه .. ليرى أباه العاقل الحصيف .! تحت رعاية القضاء وبإشرافه .!

كلّ ذلك عدا عن بثّ روح الحقد والكراهية من كلّ طرف تجاه الطرف الآخر .. والضحيّة هؤلاء الأطفال الأبرياء ، الذين تُقدّم لهم هذه السموم في نشأتهم الأولى ، ثمّ ندّعي أنّنا نخشى عليهم أن يكونوا شاذّين في المجتمع ، أو مجرمين ناقمين .!

فليكن للمسلمين والمسلمات من تقوى الله تعالى وخوف عقابه ، وتعظيم أحكام دينه وحرماته ، ما يقفهم عند حدود دينِه وآدابِ شرعِه ، ويلجمهم عن الظلم والبغي ، والسعي في مضارّة الزوج للزوجة أو الزوجة للزوج ، مهما كان بينهما من خلاف ، ولو أدّى إلى الطلاق ..

وبعد ؛ فليكن شعارُك أيّها الزوج والأب ! : لن أطلّق ، برّاً بالأبناء ، وصوناً للطفولة الغضّة عن الضياع ..

8 ـ **ومنها مراعاة حَقّ الرحم** : وكثيراً ما يكون بين الزوجين صلات رحمٍ سابقة ، أو قرابة ولو كانت بعيدة ، أفليس من حقّ ذلك على المؤمن أن يرعى جانبه ، ويقدّر منزلته ، ولو لم يكن شيء من ذلك ، فإنّ الزوجيّة التي قامت قد أثمرت صلات رحم لا ينبغي التفريط بها ، وحقّ على أهل البرّ والوفاء رعايتها .

9 ـ **ومنها مراعاة حَقّ المجتَمع والأمّة** : فللمجتَمع والأمّة حقّ على كلّ فرد من أبنائه أن يحرص على سلامة كيان الأمّة ، وتماسك بنيان المجتمع ، ولا يستطيع أحد أن يدّعي أنّ الطلاق لا

يخلّ بذلك ، اللهمّ إلاّ إن كان لضرورة تنفي عنه أن يكون أبغض الحلال إلى الله تعالى .

10 - **ومنها النظَرُ إلى العواقب والمآلات** : وهي ليست قاصرة على الأسرة في بنائها المحدود من الزوجة والبنين والبنات ، وما يتّصل بسببهم من الرحم والقرابة ، وإنّما تبدأ من الزوج ، وهو الذي تهمّه مصلحته أوّلاً .. فماذا ستكون عاقبته بعد أن يطلّق زوجته ، فربّما كان وجودها معه بركة عليه في رزقه وماله ، وبركة عليه في سمعته وجاهه ، وبركة عليه في عمله ومكانته الاجتماعيّة ، ولينظر في عواقب أطفاله من بنين وبنات ، ونشأتهم ومآل أمورهم ، ولا تذهب به فورة الغضب العارضة .. ألم

يقل النبيّ ε : (**.. هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلاّ بِضُعَفَائِكُمْ**) [1] .

11 - **ومنها التفكير في البديلِ ، فقبلَ أن تتسرّع في الطلاق فكّر في البديلِ** : إنّ كثيراً من الناس لا يفكّرون في البديل ممّا هم فيه ، سواء أكان في مجال العمل أو الوظيفة ، أو في مجال علاقته الأسريّة مع الزوج أو الزوجة .. ولو فكّر في حاله وحال الطرف الآخر ، وتدّبر أمره لما تسرّع وتعجّل ، فقد يتعجّل الطلاق ، وكأنّه يتعجّل أمراً يخشى فوتَه ، ثمّ يظهر له أنّه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ومن هنا فإنّنا نرى أكثر حالات الطلاق يعقبها النّدم ، ويسعى الزوج إلى العلماء والمشايخ ، يلتمس

---

(1) رواه البخاريّ في كتاب الجهاد والسير برقم/2681/عَنْ مُصْعَبِ بنِ سَعْدٍ قَالَ : رَأَى سَعْدٌ (بن أبي وقّاص) τ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ ..

منهم المخرج ممّا أوقع نفسه فيه من ورطة .. كما قال الشاعر :

رُبّ يومٍ بكيتُ فيه فلمّا صرتُ في غَيره بكيت عليه

وربّما اندفع بعض الشباب إلى الطلاق بدافع رغبته بمثاليّة في العلاقة الزوجيّة حالمة ، ربّما لا يجدها في هذه الدنيا إلاّ على ندرة شديدة ، وهو ليس في درجة من درجاتها .. ومع أنّ كثيراً من الدعاة يتحدّثون عَنها ، ويُرغّبون بها ، ولكنّهم يريدونها في كلا الطرفين ، فلماذا لا يطالب الزوج نفسه بما يطلب من الطرف الآخر .؟!

ولو فكّر الزوج في أحوال كثير من الناس حوله لرأى نفسه في نعمة يحسد عليها ، ولكن عليه أن

ينظر إلى من هو أدنى منه ، ليعرف نعمة ربّه عليه ولا يزدريها ..

12 - **ومنها ابتغاء الخيرِ الذي وعد الله به عباده** : بنصّ هذه الآية الكريمة ، إذ إنّ كلمة " عسى " من الله تعالى للتحقيق ، وهو يَشمل الخير المادّيّ والمعنويّ ، وربّما كان من الخير المادّيّ العَاجل ما يفتح الله بهِ علَى الزوج من خير على يد بعض أقارب زوجته ، ولولا زواجه بها لما كانَ ذلك .. فكم من امرأة كانت بركة على زوجهَا في رزقه وماله .! والأمثلة الاجتماعيّة على ذلك كثيرة مشهودة .. فليس البعد عن الطلاق مراعاةً لحقّ الزوجة الأمّ فحسب .. وإنّما فيه ابتغاء الخير للنفس ، والحرص على مصلحتها ، والإنسان بطبعه يحبّ جلب الخير لنفسه ، ودفع الضرّ عنها .

ومثل ذلك ما قد تكرّر في سورة الطلاق من وعد الله للمؤمنين والمؤمنات بأنّ من يتّق الله يجعل لهُ مخرجاً .. ويرزقه من حيث لا يحتسب .. ومن أسرار هذا التكرار والله تعالى أعلم : أنّ الإنسان خُلِقَ عجولاً ، يستفزّه الغضب ، وتعصف به نزواته ، وفي حَالة الطلاق كثيراً ما يقع الظلم ، فيكون أحد الطرفين ظالماً ، والآخر مظلوماً ، ـ وإنْ كان أكثر ما يقع الظلم على المرأة وللأسف .! ـ وتخفى حقائق ، وتبرز نقائص ، ربّما كانت سيّئات صغيرة أمامَ تلك الحقائق الكبيرة .. ويكون أحد الطرفين ومن معه ، ومن وراءَه ألحن بحجّته من الآخر ، فيتجاوز حدّه ، ويظلم الطرف الآخر ، فتأتي هذه الجملة من الآية الكريمة لتصل القلوب باللهِ السميع العليم ، وتحثّ على تقواه سبحانه ، فتقوى الله تعالى خير ما يدفَع

الظلم ، ويحسّن العواقب ، ويبدّل الأحوال .. وكم رأينا ، وكم رأى الناس ـ والحمد لله ـ ما يصدّق هذه السنّة الإلهيّة في حياة الناس الاجتماعيّة وعلاقاتهم ، وتقلّبِ أحوالهم ..

13 ـ **ومنها شكْر النعمة** : ولعلّنا لا نبعد في القول ولا نشتطّ ، إذا قلنا : إنّ أسوأ الأحوال التي يشتكيها الإنسان ، لو قلّب نظره فيها لرآها تشتمل على نعمٍ عظيمة ، وخيراتٍ كبيرة ، ولكنّ عيب الإنسان دائماً هو الغفلة والانسياق وراء رعونات النفس وأهوائها ، وبخاصّة عندما يألف النعم ، ويتقلّب فيها حتّى ينساها ، ولا يقدرها قدرها ، ويظنّ أنّها لا تقبل التحوّل والزوال ..

14 ـ **ومنها التماس البركة ، في المال والنفس والوَلد والعمر** ، وفي كلّ شيء ، وإنّما يعطى

الإنسان على حسب نيّته وقصده ، وهو يؤخذ من قول الله تعالى : (.. ئو ئو ئۇ) النساء ، وقد سبق من الحديث الشريف ما يؤيّد ذلك ويؤكّده .

15 - **ومنها التماس العذْر للزوجة ، فيما يشكو منها الزوج من التقصير في أمور الدنيا** ، والخلل في القيامِ بها ، من خدمة البيت ومَا إلى ذلكَ ، وقد كان من أعظم هَدي النبيّ ε في تعامله مع النساء والخدم ، أنّه لا يلوم على شيء من أمور الدنيا ولا يعاتب ولا يعاقب ، يقول أَنَسُ بنُ مَالِكٍ τ : " **خَدَمْتُ النَّبِيَّ ε عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا أَمَرَنِي بِأَمْرٍ فَتَوَانَيْتُ عَنْهُ ، أَوْ ضَيَّعْتُهُ فَلامَنِي ، فَإِنْ لامَنِي أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إلاّ قَالَ : دَعُوهُ فَلَوْ قُدِّرَ أَوْ قَالَ : لَوْ قُضِيَ أَنْ يَكُونَ كَانَ**) [1]

.

---

(1) - رواه أحمد في المسند برقم /12938/ .

وعَنْه في حديث آخر τ يقول : (**خَدَمْتُ رَسُولَ** اللهِ ε **عَشْرَ سِنِينَ ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي : أُفّاً قَطُّ ، وَلا قَالَ لِي لِشَيْءٍ : لِمَ فَعَلْتَ كَذَا ؟ وَهَلاّ فَعَلْتَ كَذَا ؟**) [1] .

وعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : (**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ** ε **شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ ، وَلا امْرَأَةً وَلا خَادِماً ، إلاّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ ، إلاّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ ، فَيَنْتَقِمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ**) [2] .

16 ـ **ومنها النظر بعين الابتلاء والتربية للنفس** ، وذلكَ أنّ المؤمن الذي يدقّق في محاسبة نفسه ، يستطيع أن يرى فيما يبتلى به عقوبة له من الله تعالى ، وابتلاء على كلّ ذنب وتقصير ، جليّاً كان أو

---

(1) ـ رواه مسلم في كتاب الفضائل برقم /4269/ .
(2) ـ رواه مسلم في كتاب الفضائل برقم /4296/ ، وأبو داود في الأدب برقم /4154/ وابن ماجه في النكاح .

خفيّاً ، وذلك من مظاهر عناية الله سبحانه بعبده المؤمن ، وقد قال بعض السلف : " **إنّي لأعصي الله فأجدُ ذلك في خلق زوجتي ودابّتي** " ، ولا نبعد إذا قلنا : إنّ من وسائل تهذيب النفس ، وتربية الله تعالى لعباده : أن تسلّط المرأة على زوجها بشيء من الأذى ، لما وقع فيه من التقصير والتفريط في جنب الله تعالى ، أو يُسلّط هو على زوجته كذلك ..

17 - **ومنها النظر للزوجة بعين الحبّ والرضا** ؛ فعين الرضا تكبر فيها الحسنات ، وتتضاءل السيّئات ، بل ترى الحسنات ، وتعمى عن السيّئات ، وبعض عيون الرضا تطيش بها العواطف وتجنح ، فلا ترى شيئاً من السيّئاتِ ، بل ترى السيّئات حسنات ، وما أحسن قولَ الشاعر :

وعين الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ

كما أنّ عين السخط تبدي
المساويا

ولا نريد للمؤمن أن يكون كذلك بحال ، ولكنّا نريد منه أن يكون متوازناً في جميع أموره ، ولا بأس أن يرجّح في نفسه جانب الإيجابيّات على السلبيّات ، ويغلب عليه حسن الظنّ ، لتسعد حياته ، ويقوى تفاؤله ، وتحسن علاقاته بالآخرين ، وعلى وجه الخصوص مع من كان أقرب الناس إليه من زوجه وأسرته ، وقرابته وذوي رَحِمِه ..

18 - **ومنها : ألاّ تكون فتنة لمن ظَلم في طلاقه وتعسّف** ، ففي الناس أهل ظلمٍ وبغي ، وهم يتلمّسون من يقتدون به ، أو يكون على شَاكلتِهم ، ليبرّروا لأنفسهم وللناسِ ما هم عليه ، وليخفّ عليهم تقريعُ ضميرهم وتأنيبُه ، ممّا يجعلهم في شَقاءٍ في الليل

والنهار ، والخلوة عن الناس والحضور .. فعندما يرون من يتأسّون به ، ويحتّجون بعمله ، تفرح نفوسهم الأمّارة بالسوء وتطرب ، ويقوى عليهم الشيطان أكثر ..

19 - **ومنها : الوَفاء والتذمّم** : الوفاء بحقّ الزوجيّة ، الذي هو من أوثق الحقوق وأوجبها .. والتذمّمُ الذي يعني أن يكون المؤمن وفيّاً للذمّة التي يؤتمن عليها ، على وجهٍ لا يكون فيه أيُّ إخلالٍ أو تفريطٍ .. وتلك من أرقى خلال الرجال وصفاتهم ، وما أقلّ ذلك في الناس في هذا الزمان وما أندرَه .! والوفاءُ له رجالُ .. وقد قال الشاعر :

سألت الناسَ عن خِلٍّ وفيٍّ فقالوا : ما إلى هذا سبِيلُ

تمسّك إن ظفرت بذيل حرّ فإنّ الحرّ في الدنيا قليلُ

وقد روي أنّ رجلاً جاء إلى سيّدنا عمر τ يستشيره في طلاق زوجته ، فسأله عمر τ عن السبب ، فقال : لا شيء يا أميرَ المؤمنين ، غير أنّي لا أحبّها ، فقال له عمر τ : " **ويحك .! وهل كلّ البيوت تُبنى على الحبّ .؟! فأين الرعاية والتذمّم .؟! "** .

20 ـ **ومنها حفْظ السمعة : سمعة الزوج ، وسمعة الزوجة** ، وسمعة أسرتيهما ، فأكثر الناس يلومون على الطلاق ولا يَعذُرون ، وضعاف النفوس ، الذين اعتادوا على إطلاق ألسنتهم في أعراض الناس يجدون في ذلك مادّة خصبة ، للقيل والقال ، وإطلاق الشائعات ، وما أحسن ألاّ يجد هؤلاء مادّة لمرض قلوبهم ، وعلل نفوسهم .!

21 - **ومنها : الاحتساب لوجه** الله تعالى **وحبّ الإصلاحِ** ؛ فمُحبّ الإصلاحِ لابدّ له أن يتنازل عن بعض حقّه ، رغبة في مرضاة الله تعالى وفضله ، وإيثاراً لرأْب الصدع ، والتأليف بين القلوب ، وخير ما يعين المؤمن على تحقيق ذلك أن يكون من أهل الاحتساب لوجه الله تعالى في كلّ ما يأتي ويَذَر ، يبذل الخير ، ويقدّم المعروف ، ولا ينتظر من أحد من الناس جزاءً على عمله ولا شكوراً .. يقول الله تعالى : (.. ئۆ ئۈ ئۇ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي) هود .

ثمّ لابدّ لنا من وقفةٍ عند قوله تعالى : (ۋ ۋ ئۇ) ، وهي الجملة الكريمة التي تَسبق ما نتحدّث عنه من ختام الآية ، وذلك لاستجلاءِ أهمّ أوجه المعروف ، المأمور بها ، المطلوبة شرعاً وعرفاً ، وكأنّ هذه

الجملة تمثّل حصانة للحياة الزوجيّة وحمايةً ، فإن لم تؤتِ ثمرتها في حياة بعض الناس وسلوكهم يأتي منهج **" البرهان الإقناعيّ "** ، الذي تتحدّث بلغته تتمّتها :

22 ـ **فالمعروف شرعاً يقتضي منك أن تختارَ الكلمة الطيّبة** ، وتؤثرها على ما سواها ، فالكلمة الطيّبة صدقة ، وربّما كان لها من الأثر ما لم يدخل تحت حسبان بشر ، وهي لا تكلّف الإنسان إلاّ أن يجاهد نفسه على الأخذ بها ، وأن يؤدّبَ نفسه عليها .

وقد قال الشاعر :

أحسِن إلى الناس تَستعبد قلوبَهُمُ

فطالما استعبد الإنسانَ إحْسانُ

23 ـ **ومنها أن تدفعَ بالتي هي أحسن** ، يقول الله تعالى : (ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڼ ڼ ۀ ۀ ہ ہ ھ) فصّلت .

24 ـ **ومنها أن تعفوَ وتصفح ابتغاء مرضاة الله تعالى وعَفوه ، وصفحه ورحمته** ، كما قال الله تعالى بمناسبة امتنَاع أبي بكر τ عن الإنفَاق على قريبِه مسطح بن أثاثة ، بعدما تكلّم مع من تكلّم من أهل الإفك : (ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) النور .

وقال سبحانه في بيان جزاء العافين عن الناس : (ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ) آل عمران .

25 - **ومنها أن تحرص على** أن تكون من أهل **الفضل والإحسان ، فاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ** ورحمة الله قريب من **المحسِنِين** ، وأهل الفضل والمعروف في الدنيا هم أهل الفضل والمعروف في الآخرة .. فمَا تنَالُه من فضل الله ورَحمته أجلّ ممّا تبذلُه من نَفسِك ، ومَا تَهجره من هواك ..

26 - **ومنها أن تتحقّق بالحلم وسعَة الصدر ، والصبرِ والأنَاة** ، فالحلم والصبرُ والأنَاة من الخلال التي يحبّها الله ورسوله ε ، وقد وعدَ الله عليها أعظم المثوبة وأجزلها ، وأرفع الدرجات وأعلاها ، ممّا يزيد على أجر النوافل من الطاعات والعبادات ، يقول الله تعالى : (.. □ □ □ □ □ □ □ □) الزمر ، فما أحرى المؤمنَ أن يجاهدَ نفسَه على التخلّق بهذه الخلائق ليكون عندَ الله سعيداً مرضيّاً ..

27 - **ومنها أن تحرص على أن تكون للمتّقين إماماً** ، في الصبر واحتمال الأذى ، والبرّ وحسن الخلق ، وسائر ما ذكرنا من مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخلال في المعاشرة ، كما وصف الله تعالى عباد الرحمن في كتابه : (ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ) الفرقان .

ثمّ قَال تعالى : (ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ) الفرقان .

28 - **والمعروف عرفاً يقتضي منك أن تراعيَ العرفَ الاجتماعيّ** ، وتقدّره بما لا يتعارض مع الشرع ولا يأباه .. فهو يدخل تحت **الحكمة التي هي ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ بها** .

29 - **وممّا يتطلّبه ذلك** : أن تنافسَ أهلَ الدنيا فيما يدخل في حسن الخلق ، وكثير من الناس

يحسبون أنّ مراعاة العرف الاجتماعيّ ممّا يأباه الشرع ولا يرتضيه ، وهذا من ضعف الفقه بدين الله تعالى ، ففي الأعراف الاجتماعيّة ما هوَ مترشّح من هدي الإسلام وآدابه ، ومُطيّبٌ بروحِ الدين وريحانه ، فما الذي يمنع من مراعاة الأعراف والأخذ بها إن كانت كذلك .؟! ويخطئ بعض الناس عندما يظنّون أنّ ما لم يكن منصوصاً عليه في الشرع بذاته فليس مطلوباً ، بل هو مرغوبٌ عنه .. مع أنّه يدخل تحتَ أصول الشريعة العامّة ، ومقاصدها الراسخة .

30 ـ وأخيراً ؛ فإنّه ليس كلّ ما تكرهه النفس يكون الخيرُ لها في كراهتِه واجتنابه ، فربّما كرهت ونفر طبعها عمّا فيه خيرُها وحسنُ عاقبتها ، فالحقّ أنّ الخير في الأشياء والشرّ بجعل الله تعالى وتقديره ، وليس لوصفٍ لها ذاتيّ ، فدلّ ذلك على أنّ من وجد

من زوجته ، أو وجدت من زوجها الشرّ والأذى عليه أن يبتهل إلى الله تعالى ليبدّل شرّها خيراً ، ومنكر أخلاقها معروفاً .

قال سهل بن حُنيفٍ τ حين مَرْجَعه من صفّين : **" اتّهمُوا رأيكم ، فلقد رأيتنا يومَ أبي جندلٍ ، ـ أي يوم صلح الحديبية ـ ولَو نستطيع أنْ نردّ على رَسُول الله ε أمرَه لرددناه ، والله ورسولُه أعلم ، وقد قال الله تعالى** : (.. ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) البقرة [1] .

وبعد ؛ فلو أخذ كلُّ من أراد الطلاق ببعض هذه الحقائق والمعاني لامتنع عن الطلاق بإذن الله ، وتوقّف كثيراً قبل إيقاعه ، ممّا يؤدّي إلى تخفيض

---

(1) ـ ينظر تفسير : " التحرير والتنوير " للشيخ ابن عاشور 287/3/ .

نسبته تخفيضاً كبيراً ، وإعطاء الصورة الحسنة عن مجتمعات المسلمين وسلوكاتهم ، لتنسجم مع أحكام دينهم ومبادئه ..

فإن أبيت بعد كلّ هذه الحقَائق والمعاني إلاّ الطلاق ، ووجدت نفسك ـ بكلّ صراحةٍ ـ لست أهلاً لهذه المعاني ، ولا تطيق العمل بها ، وسلوكَ سبيلها .. فلا أقلّ من أن تكون في طلاقك أنموذجاً حسناً ، وصورةً طيّبةً لاصطناع المعروف ، وتَرك أنسام الودّ ترفرف على تلك الأسرة ، التي أحدثت فيها جرحاً لا يندمل ، وخَرْقَاً لا يرقع ، وتمزيقاً لا يرفأ ، وكَسْراً في القلوب ربّما لا ينجبر على مرّ السنين والأيّام .. فما ضرّك إن كنت ميسور الحال أن تدفعَ من المالِ أكثرَ ممّا يُطلب منكَ ، فتري من تفارقهم

أنّك صاحبُ مروءةٍ ونُبْل ، وكَرَمٍ وفضْل ، لم تتعمّد إثماً ، ولم تجرح إلاّ مضطرّاً ..

وإن لم تَكن ميسور الحالِ ففي المتعةِ التي شرعَها الله تعالى على قدر حَالِ كلّ إنسَان مع الكلمة الطيّبة ، والاعتذار الرقيق ما يمسح جراح القلوب ، ويَغسِلُ أوضَار النفوس على حدّ قول الشاعر :

لا خيلَ عندك تُهديهَا ولا مالُ

فليُسعِد النطقُ إن لم يُسعِدِ الحَالُ

واعلم أنّك تُعامِلُ الناس بأخلاقك ومروءتك ، لا بما يستحقُّون من مُعَاملتك إذ يسيؤون إليك .. فلا تنظر للآخرين ، وما هم عليه ، وما يفعلون ، وانظر إلى ما تريدُ أن تكون عليه عند ربّ العالمين .. وعندئذ فلن تكون إلاّ من أهل البرّ والإحسان ..

وفي الختام :

أقدّم بعض التوصيات المهمّة ، التي يمكن أن تحقّق أهدافَ هذه الرسالة ، وتسهم في الحدّ من ظاهرة الطلاق ، التي أصبحت تشكّل هاجساً مقلقاً لكلّ مصلح غيور على مجتمعه وأمّته ، وعقدةً مزعجةً للآباء والأبناء ، والشباب والفتيات على حدٍّ سواء ..

هذا وأهمّ التوصيات :

1 ـ ضرورة إقامة دورات تأهيليّة للشباب المقدمين على الزواج ، ومثلها للفتيات المقدمات على الزواج ، يقوم عليها فريق من العلماء والمختصّين ، وتكون لها برامج شرعيّة وتربويّة واجتماعيّة متنوّعة ، ويحرص فيها عَلى التدريب العمليّ بأساليب متطوّرة .

2 ـ إقامة دورات مشابهة للأزواج والزوجات ، للأخذ بأيديهم بعد قيام الحياة الزوجيّة ، لرفع مستوى تعاملهم الزوجيّ ، وتقديم الرأي والمشورة ، للتغلّب على العقبات التي تعترض حياتَهم الزوجيّة والأسريّة بوجهٍ عامٍّ .

3 ـ أن تقيم الجهاتُ الحكوميّةُ المعنيّةُ مكاتب لتقديم الرأي التربويّ ، والمشورة الزوجيّة ، والمساعدة على حلّ المشكلات الطارئة ، وتحثّ العلماءَ والمختصّينَ في التربية ، وتشجّعهم على افتتاح مثلها محتسبين لله تعالى ناصحين لأمّتهم ، وأن تؤيّدَ عملهم ، وتدعم جهودَهم ، ليكون في ذلك تحصين للأسرة والمجتمع ، ووقاية من سوء العواقب .

هذا والله تعالى أعلمُ ، وصلّى الله
على سيّدنا محمّد وعلى آله وصَحبه
وسلّم
والحمد للّهِ ربّ العالمين .

% % %

N

الموضوع	رقم الصفحة
تصدير	5
فاتحة القول	7
ملاحظة مهمّة	9
مقدّمة	11
نظرةٌ عامّةٌ على الآيةِ ومُقارنة	13
مقارنة دقيقة بين الآيتين	19
الموازنة بينَ المصالح والمفاسد ، والنظر إلى العواقبِ	21
تعليقٌ مهمٌّ حول حديث : (أبغض الحلال ...)	22
من أوجه الخير الكثير الذي تحدّثت عَنْه	24

الآية الكريمة :

1 ـ تَحقّقُ المؤمنِ بالامتِثَال للآية الكريمة 24

2 ـ ومنها اليقين بوَعد الله تعالى 25

الموضوع رقم الصفحة

3 ـ ومنها التأسِّي بالنبيِّ ε. 26

4 ـ ومنها التأسِّي بالصالحين 27

5 ـ ومنها الوفَاء بالحَقّ والميثاق الغليظ 28

6 ـ ومنها مراعاة حَقّ الأمومة وحفظه 29

7 ـ ومنها مراعاة حَقّ الأولاد وحسن رعايتهم 30

8 ـ ومنها مراعاة حَقّ الرحم 42

9 ـ ومنها مراعاة حَقّ المجتَمع والأمّة 43

10 ـ ومنها النظَر إلى العواقب والمآلات 43

11 - ومنها التفكير في البديلِ 44
12 - ومنها ابتغاء الخيرِ الذي وعد الله به عباده 46
13 - ومنها شكْر النعمة 48
14 - ومنها التماس البركة 49
15 - ومنها التماس العذْر للزوجة 49

الموضوع رقم الصفحة

16 - ومنها النظر بعين الابتلاء والتربية 51
17 - ومنها النظر للزوجة بعين الحبّ والرضا 52
18 - ومنها : ألاّ تكون فتنة لمن ظَلم في طلاقه وتعسّف .. 53
19 - ومنها : الوَفاء والتذمّم 54
20 - ومنها حفْظ السمعة سمعة الزوج ، 55

وسمعة الزوجة .
21 ـ ومنها : الاحتساب لوجه الله تعالى وحبّ الإصلاح 56
22 ـ فالمعروف شرعاً أن تختارَ الكلمة الطيّبة 58
23 ـ ومنها أن تدفعَ بالتي هي أحسن 58
24 ـ ومنها أن تعفوَ وتصفح ابتغاء مرضاة الله وعَفوه 59
25 ـ ومنها أن تحرص على الفضل والإحسان 60
26 ـ ومنها أن تتحقّق بالحلم وسعَة الصدر والصبر 61
27 ـ ومنها أن تحرص على أن تكون للمتّقين إماماً 62
28 ـ والمعروف عرفاً يقتضي منك مراعاة العرف 63

الموضوع رقم الصفحة

29 ـ وأن تنافس أهل الدنيا في حسن 63

الخلق . .....
30 - ليس كلّ ما تكرهه النفس يكون خيراً لها 64
وفي الختام أهمّ التوصيات 68
الفهرس : 71

% % %

هذه الرسالة !

إنّ شريعة الله كلّها عدل ورحمة وحكمة .. وعبث العابث يجعل من الرحمة ظلماً ، ومن النعمة نقمةً .. ويسيء إلى دينه ، كما يسيء إلى نفسه وبني جنسه .. وإباحة الطلاق عندما تدعو الحاجة الملحّة إلى ذلك من أظهر الأمثلة على هذا الواقع البئيس المسيء إلى الدين والأمّة .. وهذه الرسالة على وجازتها محاولة جادّة متدبّرة ، للكشف عن أوجه الخير الكثيرة في الزواج ، والتي تصدّ الإنسان عن التسرّع في الطلاق .. ولعلّها تسهم في الحدّ من هذه الظاهرة المقلقة ..

* صدر للمؤلّف *

1 ـ ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربويّة وآثاره .
2 ـ وجوب وحدة المسلمين .
3 ـ رسالة المعلّم وآداب العالم والمتعلّم .
4 ـ اعرف نبيّك محمّداً ε يا بنيّ .!
5 ـ ومضات من هدي النبيّ الخاتم ε .
6 ـ البيّنات في تفسير سورة الحجرات .
7 ـ المنهج القويم للداعية الحكيم .
8 ـ مشاهد الأتقياء في الصبر على الابتلاء .
9 ـ رسالتان في التربية .
10 ـ صور وعبر من لطائف القدر . المجموعة الأولى .

11 ـ صور وعبر من عجائب القدر . المجموعة الثانية .

12 ـ حديث القلب .

13 ـ النصائح الذهبيّة لتربية الأولاد ورعايتهم .

14 ـ قبسات من نور النبوّة لصاحبي الفضيلة : الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني ، والشيخ عبد الفتّاح أبو غدّة رحمهما الله تعالى . بعناية د. عبد المجيد البيانوني ، وفي ختامه رسالة : " ومضات من هدي النبيّ الخاتم ε " .

15 ـ تذكرة العابد بحقوق المساجد .

16 ـ أساليب تربويّة ومفاهيم دعويّة من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني .

17ـ ركائز دعويّة من هدي النبيّ ε في العلاقات الاجتماعيّة .

18 ـ القول المبين في تفسير سورة : " يس " .

19 ـ لمحات من حياة الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني وتعريف بمؤلّفاته . دار القلم

20 ـ مواقف تربويّة من هدي النبيّ ε مع الأطفال .

21 ـ خمس عشرة مهارة تجعلك مربّياً متميّزاً .

22 ـ خطوة خطوة نحو التربية الناجحة .

23 ـ معالم تربويّة في حياة السلف .
24 ـ ثلاثون سبباً تمنعك من الطلاق .!
25 ـ إنّها الأنثى ! رؤى نقديّة لدعوى التمييز ضدّ المرأة .

٪ ٪ ٪